

كَانَا يُصَلِّيَانِ .. وَالمَسْجُونُونَ يَسْمَعُونَهُمَا

(Arabic – The prisoners were listening to them)

أحبائي.. حديثنا اليومَ مَوْضُوعُهُ: كَانَا يُصَلِّيَانِ .. وَالمَسْجُونُونَ يَسْمَعُونَهُمَا

وَمِنْ سِفْرِ أَعْمَالِ الرَّسْلِ الْأَصْحَاحِ السَّادِسِ عَشَرَ نَقْرَأُ العَدَدَ الخَامِسَ وَالعَشْرِينَ:

" وَنَحْوَ نِصْفِ اللَّيْلِ كَانَ بُولْسُ وَسِيلا يُصَلِّيَانِ وَيُسَبِّحَانِ اللهَ. وَالمَسْجُونُونَ يَسْمَعُونَهُمَا".^١

أَمَامَ أَبْوَابِ السَّجْنِ الفُولاذِيَّةِ المُعْلَقَةِ فِي مَدِينَةِ فِيلِبِّي. وَقَفَ بُولْسُ وَسِيلا المَحْكُومَ عَلَيْهِمَا بِالسَّجْنِ مِنْ وِلَاةِ المَدِينَةِ وَكَانَ يَصْطَحِبُهُمَا جَنْدِيُّ رُومَانِي بِتَكْلِيفِ بِنْتِكِ المُهَمَّةِ مِنْ وِلَاةِ المَدِينَةِ. لِأَنَّهُمَا بِبَلْبَلَةِ المَدِينَةِ وَمُنَادَاتِهِمَا بِعَوَائِدٍ لَا يَجُوزُ لِلْمُسْتَكِينِ عَلَيْهِمْ أَنْ يَقْبَلُوهَا. وَلَا أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا إِذْ أَنَّهُمْ رُومَانِيُونَ. وَقَبْلَ إِرْسَالِهِمَا إِلَى السَّجْنِ مَرَقَ الوِلَاةِ ثِيَابَ بُولْسِ وَسِيلا. وَأَمَرُوا أَنْ يُضْرَبَا بِالعَصِيِّ. فَوَضَعُوا عَلَيْهِمَا ضَرْبَاتٍ كَثِيرَةً. وَبَعْدَ قَلِيلٍ فَتَحَتْ أَبْوَابُ السَّجْنِ فَدَخَلَا ثُمَّ أَعْلَقَتْ الأَبْوَابُ. وَأَلْقَاهُمَا حَافِظُ السَّجْنِ بِدَاخِلِهِ. وَكَانَ الوِلَاةُ قَدْ أَوْصُوا حَافِظَ السَّجْنِ أَنْ يَحْرُسَهُمَا بِضَبْطٍ. وَهُوَ إِذْ أَخَذَ وَصِيَّةَ مِثْلِ هَذِهِ أَلْقَاهُمَا فِي السَّجْنِ الدَّاخِلِيِّ وَضَبَطَ أَرْجُلَهُمَا فِي المَقْطَرَةِ.^٢

رَأَى المَسْجُونُونَ مِنْ فَتَحَاتِ فِي الحَوَاجِزِ ابْتِسَامَةَ الوِدَاعَةِ مُرْتَسِمَةً عَلَى شَفْتِي كُلِّ مِنَ الرَّجُلَيْنِ القَادِمَيْنِ وَهُمَا بُولْسُ وَسِيلا. وَكَانَ ذَلِكَ المَنْظَرُ بِالنِّسْبَةِ لِلْمَسْجُونِينَ عَلَى غَيْرِ مَا تَعَوَّدُوهُ. وَبَعْدَ أَنْ اسْتَقَرَّ بُولْسُ وَسِيلا فِي المَكَانِ المُعَدَّ لَهُمَا رَفَعَ الاِثْنَانِ وَجْهَيْهِمَا إِلَى أَعْلَى. وَفِي هُدُوءٍ قَدَّمَ صَلَاةَ شُكْرِ اللهِ. وَبَيَّنُّوْا أَنَّهُمَا كَانَا مُتَجَاوِرِينَ. وَاتَّخِلَهُمَا يَسْتَرْجِعَانِ أَحْدَاثَ قِصَّةِ الجَارِيَّةِ الَّتِي كَانَ بِهَا رُوحٌ عِرَافَةٌ. وَقَدْ اسْتَقْبَلْتُهُمَا بَيْنَمَا كَانَا ذَاهِبِينَ إِلَى الصَّلَاةِ. وَحَدَّثَتْ أَنَّهَا اتَّبَعَتْ بُولْسَ وَسِيلا وَصَرَخَتْ قَائِلَةً: "هُوَ لِئِنَّ النَّاسَ هُمْ عَبِيدُ اللهِ العَلِيِّ الذِينَ يُنَادُونَ لَكُمْ بِطَرِيقِ الخِلَاصِ". وَلَمَّا كَرَّرَتْ مَا تَفَعَّلَهُ عِدَّةَ أَيَّامٍ ضَجَرَ بُولْسُ وَالتَفَتَ إِلَى الرُّوحِ وَقَالَ: "أَنَا أَمْرُكُ بِاسْمِ يَسُوعَ المَسِيحِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا فَخَرَجَ". اغْتَاظَ الرَّجَالُ الذِينَ كَانُوا يَكْسِبُونَ أَمْوَالًا طَائِلَةً مِنْ رُوحِ عِرَافَتِهَا. لِهَذَا السَّبَبِ أَمْسَكُوا بُولْسَ وَسِيلا وَجَرُّوهُمَا إِلَى السُّوقِ إِلَى الحُكَّامِ. الذِينَ أَمَرُوا بِضَرْبِهِمَا بِالعَصِيِّ ثُمَّ بِالقَائِمَةِ فِي السَّجْنِ.^٣

كَانَ بُولْسُ وَسِيلا مُتَوَجِّعِينَ مِنَ الضَّرْبَاتِ العَنيفَةِ بِالعَصِيِّ عَلَى جَسَدَيْهِمَا. لِأَنَّهُمَا ضُرِبَا عُرْيَانِينَ مِنَ الثِّيَابِ الَّتِي مَرَّقُوها مِنْ عَلَيْهِمَا. وَقَدْ تَرَكْتَ تِلْكَ الضَّرْبَاتِ العَنيفَةَ آثَارَهَا جُرُوحًا دَامِيَةً عَلَى ظَهْرَيْهِمَا. وَلَكِنْ مَعَ شُغُورِهِمَا بِالْأَمْرِ تَسَلَّخَ جَلْدَيْهِمَا كَانَ سَلَامٌ عَجِيبٌ فَيَاضٌ، وَفَرَحٌ غَامِرٌ لَا يُعْبَرُ عَنْهُ يَمَلًا قَلْبِيهِمَا لِسَبَبِينَ. أَوْلَهُمَا: أَنَّهُمَا كَانَا يُنْفِذَانِ خُطَّةَ اللهِ المَرْسُومَةَ لَهُمَا. فَلَقَدْ جَاءَ الاِثْنَانِ إِلَى فِيلِبِّي بِإِرْشَادِ مِنَ اللهِ حَسَبَ المَذْكَورِ بِالعَدَدِ العَاشِرِ مِنْ نَفْسِ الْأَصْحَاحِ. وَإِلْتِمَامِ مَسِيئَتِهِ الصَّالِحَةِ فِي حَيَاةِ كُلِّ مِنْهُمَا. ثَانِيَهُمَا: تَأْيِيدُ الرَّبِّ لِخِدْمَتِهِمَا بِعَمَلٍ مُعْجَزَةٍ. فَبِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ المَسِيحِ اسْتَطَاعَا إِخْرَاجَ الرُّوحِ النَّجِسِ الَّتِي كَانَتْ تِلْكَ الجَارِيَّةُ مُقَيَّدَةً بِهِ. فَلَمَّا أَنْ بُولْسُ وَسِيلا كَانَا وَهُمَا بِالسَّجْنِ مُتَمَتِّعِينَ بِسَلَامٍ عَجِيبٍ وَفَرَحٍ يَغْمُرُ قَلْبَيْهِمَا. وَلَقَدْ قَالَ يَعْقُوبُ بِرِسَالَتِهِ الْأَصْحَاحِ الخَامِسِ: "أَعْلَى أَحَدٍ بَيْنَكُمْ مَشَقَاتٌ فَلْيُصَلِّ. أَمْسُرُورٌ أَحَدٌ فَلْيُرْتَلِّ". وَبِسِفْرِ أَعْمَالِ الرَّسْلِ الْأَصْحَاحِ السَّادِسِ عَشَرَ مَكْتُوبٌ عَنْ بُولْسِ وَسِيلا: "وَخَوَ نِصْفِ اللَّيْلِ كَانَ بُولْسُ وَسِيلا يُصَلِّيَانِ وَيُسَبِّحَانِ اللهَ وَالمَسْجُونُونَ يَسْمَعُونَهُمَا". نَسِيًا أَنَّهُمَا فِي سَجْنٍ وَرَفَعًا فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ فِي ذَلِكَ السَّجْنِ الصَّلَوَاتِ وَالتَسْبِيحَاتِ وَبصَوْتٍ مَسْمُوعٍ.^٤

لَقَدْ لَفَتَ نَظْرَ هُوَ لِئِنَّ المَسْجُونِينَ مَا رَأَوْهُ فِي بُولْسِ وَسِيلا وَمَا سَمِعُوهُ مِنْهُمْ. وَصَارُوا فِي حَيْرَةٍ مِنْ أَمْرِ هَذَيْنِ المَسْجُونِينَ اللذِينَ جَعَلَا مِنَ السَّجْنِ بَيْتَ صَلَاةٍ وَعِبَادَةٍ. وَدَوَى فِي رَحَابِ السَّجْنِ لِحْنِ تَسْبِيحِ وَتَمَجِيدِ اللهِ. لَمْ

^١ سفر أعمال الرسل ١٦: ٢٥ ، استمع إلى الإنجيل

^٢ سفر أعمال الرسل ١٦: ١٩ - ٢٤

^٣ سفر أعمال الرسل ١٦: ١٦ - ١٨ ، سفر أعمال الرسل ١٠: ١٠ ، رسالة يعقوب ٥: ١٣

^٤ رسالة بولس الرسول الثانية إلى مؤمنى كورنثوس ١١: ٢٣ - ٢٥

يُصَدِّقُوا أَنْفُسَهُمْ فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ هَلْ هُمْ فِي حُلْمٍ جَمِيلٍ أَمْ هِيَ حَقًّا أَنْعَامٌ مَلَائِكَةٌ هَبَّتْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ لِافْتِقَادِهِمْ فِي قِيُودِهِمْ؟. ولم يتوقف بولس وسيلا عن صلوات الشكر والحمد لاسم الله القدوس من أجل خلاصه العجيب لهم.

نعم. لم يتوقف بولس وسيلا عن الصلاة والتسبيح حتى حدثت بغيته زلزلة عظيمة. فترعرعت أساسات السجون وانفتحت في الحال الأبواب كلها وانفكت قيود الجميع. ولما استيقظ حافظ السجن ورأى أبواب السجن مفتوحة استل سيفه. وكان مزمعاً أن يقتل نفسه ظاناً أن المسجونين قد هربوا. فنادى بولس بصوت عظيم قائلاً: لا تفعل بنفسك شيئاً ردياً. لأن جميعنا ههنا. فطلب ضوءاً واندفع إلى داخل وخر لبولس وسيلا وهو مرتعداً. ثم أخرجهما وقال: يا سيدي. ماذا ينبغي أن أفعل لكي أخلص؟. فقالا: آمين بالرب يسوع المسيح فتخلص أنت وأهل بيتك. وكلماه وجميع من في بيته بكلمة الرب. فأخذهما في تلك الساعة من الليل وغسلهما من الجراحات. واعتمد في الحال هو والذين له أجمعون. ولما أصدعهما إلى بيته قدم لهما مائدة وتهلل مع جميع بيته إذ كان قد آمن بالله.^١

كانت خطة إبليس وما زالت هي العمل على تقييد كلمة الله ومنعها من الانتشار. ففي الأصحاح الخامس مكتوب: فسألهم رئيس الكهنة قائلاً: أما أوصيناكم وصية أن لا تعلموا بهذا الاسم؟. وما أنتم قد ملأتم أورشليم بتعليمكم؟ فأجاب بطرس والرسل وقالوا: ينبغي أن يُطاع الله أكثر من الناس. إله آبائنا أقام يسوع الذي أنتم قتلتموه مُعلِّقين إياه على خشبة. هذا رفعة الله بيمينه رئيساً ومخلصاً يُعطي إسرائيل التوبة وغفران الخطايا. ونحن شهوداً له بهذه الأمور. فلما سمعوا حنقوا وجعلوا يتشاورون أن يقتلوه. ودعوا الرسل وجلدوهم وأوصوهم أن لا يتكلموا باسم يسوع ثم أطلقوهم. وأما هم فذهبوا فرحين من أمام المجمع لأنهم حسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل اسمه.^٢

إن صلاة وتسبيح بولس وسيلا فتحت الباب لسيادة الروح القدس على المكان الذي تواجد فيه. وحول سجننا لتقييد الحريات إلى كنيسة للتحرير من القيود. وبالتالي في قصة سجن فيلبّي نتعلم دروساً نوجزها في ثلاثة:

أولاً: سيادة الروح القدس تحول السجن إلى كنيسة ليمجيد اسم الله.. لقد قمتُ بزياراتٍ عديدةٍ للسجون مع متطوعين لتقديم رسالة الله للتوبة والخلص. ووجدت استجابة من كثيرين من المسجونين. إن تأثير سيادة الروح القدس يصنع العجايب. فالألسنة التي لا تعرف غير الشتائم والسباب واللعن والكلمات المبتذلة تتغير وتتوقف وتبطل. وتحل مكانها ألسنة جديدة تطهرت بدم المسيح. لا تعرف غير كلمات الحمد والشكر لله. ألسنة تبارك وترفع وتعزّد وتقوى وتشجع على الفضيلة. ألسنة تصلي وتسبح وتعظم الرب وتشهد لنعمة وخلاصه.

ثانياً: سيادة الروح القدس تحول السجن إلى كنيسة يجرى الله فيها المعجزات.. لم يكن حدوث زلزلة عظيمة في سجن فيلبّي محض صدفة بل هي معجزة. ولم يكن خلاص سجان فيلبّي وتهلله مع جميع بيته محض صدفة إنها معجزة. أخي القارئ المحبوب هل اختبرت تلك المعجزة وهي خلاصك من خطاياك وتحريرك من قيود إبليس؟. هل امتلأ قلبك من سلام الله العجيب وتحول بيتك إلى بيت صلاة وتسبيح وعبادة لك ولأهل بيتك؟.

ثالثاً: سيادة الروح القدس تحول السجن إلى كنيسة تطلب النفوس فيها الحرية الحقيقية.. ليس الذين في السجون هم وحدهم الذين في معاناة وحرمان من حرياتهم. رأيت كثيرين في السجون اختبروا الحرية الحقيقية. سمعوا كلام الحياة الأبدية من وعاطف أمّاء وتابوا توبة صادقة من كل القلب. والمشرفون عليهم يشهدون لهم أنهم نالوا خلاص الله وغفرانه وتحريره الكامل. وهم قذوة طيبة لكثيرين معهم. وبالأسف كثيرون خارج السجون ولكنهم مكبلون بسلاسل إبليس الذي قيدهم بإدمان التدخين والخمر والمخدرات والجنس. وهم مصدر خطر على الجيل الناشئ بل على المجتمع بأكمله. ولكن يوجد رجاء في ذلك الذي قال: "تعالوا إلي وأنا أريحكم".

عزيزي القارئ.. أدعوك لنتشارك معي في تلك الصلاة: أبانا السماوي.. أشكرُك يا قدير. يا من تستطيع أن تحرر الأسير وتفك قيوده. وتحدث في القلوب الملوثة بالخطايا تثيراً عجباً. وتملأها سلاماً وفرحاً ورجاءً. أرفع صلاتي في اسم يسوع قاديना البار. متكللاً على وعديك الصادق يا من قلت: من يقبل إلي لا أخرجهُ خارجاً.

أخي القارئ العزيز.. إن أردت سماع تلك الرسالة أو غيرها ستجد ذلك في:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ سفر أعمال الرسل ١٦: ٢٥ - ٤٠

^٢ سفر أعمال الرسل ٥: ٢٨ - ٤٣ ، إنجيل متى ١١: ٢٨ - ٣٠ ، رسالة بولس الرسول الأولى إلى مؤمنى كورنثوس ٦: ١٠